المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص1083-1100

إسهامات الطلبة الجزائريين في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية

Contributions of Algerian Students to the National Movement and the Algerian liberation révolution.

عبد النور غرينة *
جامعة خنشلة (الجزائر)
gherinabdenour@gmail.com

مليكة قليل
جامعة خنشلة (الجزائر)
malikakellil@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/02/20
تاريخ القبول:
2022/05/22

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحركة الوطنية
- ✓ الطلبة الجزائريون
- ✓ الدول الغربية
- ✓ الثورة

الملخص:

أدرك الطلبة الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين الأعباء الثقيلة التي سيتعين عليهم أن يتحملوها خدمة لقضية بلدهم، واثقين في نتائج النضال من أجل التحرر والاستقلال، وقد وجب عليهم أن يعدوا أنفسهم لمواجهة المسؤوليات الجديدة الملقاة على عاتقهم للتعريف بمظالم الاستعمار الفرنسي في الأواسط الجامعية العالمية والفرنسية، والتأكيد على وجود أمة وشعب جزائري لم ولن ينصهر مع فرنسا. وإيمانا بهذه المهمة الجديدة لم يحجم ولم يتردد هؤلاء الطلبة عن التضحية من أجل الثورة الجزائرية. تهدف هذه الدراسة إلى إعادة قراءة جوانب من نضال الطلبة الجزائريين بناء على وثائق جديدة لفهم كيفية تعبئة الحركة الطلابية في الخارج حول أهداف الثورة الجزائرية.

Article info

Received:
20/02/2022
Accepted:
22/05/2022

Key words:
- ✓ National Movement
- ✓ Algerian Students
- ✓ Western Countries
- ✓ Revolution

Abstract:

Since the beginning of the twentieth century, Algerian students have realized the heavy burdens they will have to bear in the cause of their country, confident in the results of the struggle for liberation and independence. They must prepare themselves to face the new responsibilities entrusted to them to publicize the grievances of French colonialism in the universal and French universities and to emphasize the existence of an Algerian nation and people who have not and will not be fused with France. Believing in this new task, these students did not hesitate to sacrifice for the Algerian Revolution.

This study aims to re-read aspects of the struggle of Algerian students based on new documents to understand how to mobilize the student movement abroad around the goals of the Algerian revolution.

*المؤلف المرسل

مقدمة

كثيرة هي الدراسات التي اهتمت بالدعم المادي والمعنوي الذي خص الثورة التحريرية الجزائرية في الخارج من طرف البلدان الأسيوية العربية وغير العربية، ومن طرف بعض الدول الأوربية ودول أمريكا الشمالية والجنوبية، لكن هذه الدراسة ستركز على دور فئة معينة في هذا المجال، ونقصد هنا جهود المثقفين الجامعيين الجزائريين من الطلبة ودورهم في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية في الخارج، إذ أن جهود أولئك الطلبة وجهود الوفود الممثلة لجبهة التحرير الوطني شكلت محورا مهما من جبهات النضال والكفاح ضد الاستعمار وضد الترسانة الاستعمارية الفرنسية التي استعملتها لوأد الثورة الجزائرية وذلك سعيا لتطويقها وإزهاق صوتها في الخارج، وعن إشكالية هذه الدراسة فإنها تكمن في إبراز طبيعة إسهامات الطلبة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية في المشرق العربي وبعض البلدان الغربية، في ظل الأعباء المضاعفة الملقاة على كاهلهم، مع كل المصاعب التي كانت تعترض حياتهم الطلابية، بين الجلوس على مقاعد العلم والتعلم وخدمة الثورة كقضية تمثل انتماءهم ووجودهم، بعد أن عولت عليهم جبهة التحرير الوطني في الخارج.

وتطرح إشكالية الدراسة تساؤلات من ضمنها: **ماهي المصاعب والعقبات التي اعترضت الطلبة الجزائريين أثناء تحصيلهم الجامعي؟ وكيف كانت فاعلية الطلبة الجزائريين في النضال التحرري حسب بعض الوثائق الأرشيفية المحفوظة في مركز الأرشيف الديبلوماسي التابع لوزارة الخارجية الفرنسية لاكورنيف بباريس Centre.Aarchives. Ddiplomatique. Courneuve.Ministère. Affaires.Etrangères؟**

لم تكن عملية الاندماج الاجتماعي متاحة لكافة الطلبة الجزائريين، إذ لم يكن بمقدورهم إلا أن يصيروا "**برجوازيين**" أو أن يكونوا "**مناضلين**" وبما أن إمكانيات الدخول في دائرة البرجوازية لم تكن متاحة "**لأبناء العامة من الشعب**" أثناء فترة الحياة الطلابية، لأن أغلبية الطلبة الجزائريين فقراء في حاجة إلى مساعدة مادية، كما أن تظلماتهم كانت تشمل أحوالهم القانونية والمادية والمعنوية فقد صار أغلبهم مناضلين وطنيين (برفليي، 2007، ص 79).

فإذا أخذنا بعين الاعتبار جملة العراقيل التي اعترضت الطلبة الجزائريين أثناء تكوينهم الجامعي وسعيا منهم إلى تحصيل الثقافة الفرنسية، يمكننا الجزم بأن أولئك المدعومين من طرف الإدارة، كانوا وحدهم قادرين على الالتحاق بالجامعات، والواقع أن هذه الفرضيات تبدو معقولة جدا، إذ أنه لم يكن بإمكان الخماسين أو الأجراء اليوميين أو الرعاة أو المستضعفين القاطنين في البيوت القصديرية، إرسال أولادهم إلى الجامعة، ومع ذلك يتفق معظم الطلبة الجزائريين على تأكيد ما ذهب إليه فرحات عباس، منذ 1927، حين كتب قائلا: "**معظمنا ناس فقراء جئنا من(الدواوير) من عائلات بسيطة للحصول على شهادة البكالوريا ولم نكن ندري كيف السبيل إليها**" (برفليي، 2007، ص 46-47).

وعلى هذا الأساس، سنحاول التعرف على الظروف المادية للطلبة خلال مرحلة دراستهم ونطلع على ظروفهم الثقافية، ونستشف الحوافز الاجتماعية والاتجاهات السياسية التي تبنوها، ونستخلص من كل ذلك مدى ارتباطهم بوطنهم وعائلاتهم ومستوى فعاليتهم ومشاركتهم في النضال التحرري.

1. تظلمات الطلبة الجزائريين أمام الدوائر الاستعمارية

لم تكن الأسباب المثيرة لاستياء الطلبة الجزائريين تنقطع طيلة حياتهم الطلابية، وذلك في جميع النواحي سواء ما تعلق بالظروف القانونية للدراسة أو الصعوبات المادية أو العزلة المعنوية، غير أن تلك الوضعية كانت متفاوتة الأهمية حسب الزمان وحسب الأمكنة (برفليي، 2007، ص ص 79-80).

وكمثال عن ذلك، يمكن أن نستدل بما ورد في مذكرات أحد الطلبة الجزائريين في فرنسا وهو مالك بن نبي حين أشار إلى أن ظروف الحياة الطلابية كانت جد قاسية، بالإضافة إلى العزلة المعنوية الناتجة عن نظرة الاستعلاء اتجاه الطلبة الجزائريين، وتدخل الاعتبار السياسي الذي يحول دائما دون ترقية الطلبة أو توظيفهم وحرمان أبناء المستعمرات (الأهالي) من أغلب الامتيازات التي يتمتع بها الطلبة في الجامعات الفرنسية (بن نبي، 2006، ص ص216-217).

يمكن إرجاع العقبات القانونية التي واجهت الطلبة الجزائريين إلى نوعين أساسيين متعارضين من حيث الغاية، إذ كانوا يصطدمون بتنظيمات تتجاهل مشاكلهم الخاصة أو يعانون من تمييز سياسي يستهدفهم بصفتهم رعايا أهالي، وهنا يمثل إلغاء الإعفاء من شهادة البكالوريا أنموذجا جيدا للنوع الأول من العقبات ذلك أنه قبل سنة 1914، لم يكن أغلب المسجلين في كليات الجزائر حائزين على شهادة البكالوريا لأنها غير مشترطة لمتابعة الدراسة في بعض الاختصاصات والحصول على بعض الشهادات ولكنها صارت إجبارية لمن أراد مزاولة دراسات جامعية كاملة، فإمكانية الإعفاء من الحصول على شهادة البكالوريا، التي كانت تمنح بسهولة، قد ألغيت في جامعة الجزائر منذ سنة 1909، قبل أن يتعمم إلغاؤها في جميع التراب الفرنسي سنة 1912، عندما تظاهر الطلبة ضد ما اعتبروه "**خرقا مفضوحا للقوانين**" كانوا ربما يعتقدون أنهم يدافعون عن حق المساواة في الامتحانات وفي قيمة الشهادات الجامعية، ولكنهم في الواقع وضعوا حدا لترقية الطلاب الجزائريين نظرا لسوء توجيههم.

وبعد الحرب العالمية الأولى لم يعد الحائزون على شهادة البكالوريا قلة، وذلك ما خفف حدة المشكل، ما عدا ما تعلق بالمدرسين وبعض المعلمين الراغبين في مواصلة دراساتهم.

كانت أعباء الخدمة العسكرية من بين الشكاوى المستحوذة على اهتمام الطلبة، فبعد أن كانوا يستفيدون من "**ميزة**" الإعفاء منها، باعتبارهم رعايا لا يفرض عليهم واجب الخدمة العسكرية قبل 1912، صار يشترط عليهم بعد ذلك الحصول على إعفاء منها أو التعويض إلى غاية 1917 (برفليي، 2007، ص 80) ، تم فيما بعد تعديل قانون 1912 الخاص بالخدمة العسكرية الإجبارية بواسطة مرسوم صدر في 1926، وفي هذا المرسوم أصبحت فترة الخدمة العسكرية عامين وطبق نظام الإعفاء ولكنه حدد بثلاث حالات وهي: الابن

الوحيد للأرملة أو الابن الأصغر لجدة ضريرة والابن الوحيد لأب أو جد ضرير أو عاجز، واليتيم الذي يعول إخوة أو أخوات أقل منه سنا أو عاجزين، أما الطلبة الجزائريون فقد عوملوا معاملة خاصة وتركوا لإكمال دراستهم مثلهم في ذلك مثل الطلبة الفرنسيين، وظل العسكريون الوطنيون الذين أنهوا الخدمة تحت تصرف وزارة الحربية الفرنسية لفترة ثلاث عشرة عاما وبذلك أمكن تلافي بعض عيوب قانون 1912، إلا أنه لم تتوفر المساواة بين العنصر الوطني والعنصر الفرنسي الذي كان يؤدي الخدمة لعام واحد فقط (إبراهيم دسوقي، 2001 ص64).

بعد الحرب العالمية الأولى خضع الطلبة الجزائريون إلى نظام الإرجاء حسب القرار الصادر بتاريخ 1926/09/07 والذي يقضي إلى توحيد نظام الإرجاء، غير أن مدة الخدمة ظلت أطول أي سنتين عوضا عن سنة واحدة مع إمكانية التسريح بعد سنة لكنها مشروطة بحسن السلوك، وإلى مدة خدمة أكثر صرامة من التي كانت تطبق على نظرائهم الفرنسيين.

ولقد تمت تسوية النقطة الأولى سنة 1926، بفضل السند الذي قدمه هؤلاء لمطالبهم ولكنهم واصلوا المطالبة بالمساواة في مدة الخدمة وبإمكانية التكوين العسكري العالي وفي إطار الاحتياط، وكذا تجنيد طلبة الطب والصيدلة في سلك المصالح الصحية وتقليدهم الرتبة المناسبة لكفاءتهم. يتعلق الأمر هنا بتمييز مقنن كان مسلطا على الطلبة باعتبارهم أفرادا من ضمن الشعب الجزائري الخاضع إلى غاية 1944 للقانون الاستثنائي المعروف باسم "**قانون الأهالي**"، وربما ينبغي التذكير هنا بجملة التحديدات المفروضة في المزاولة الحرة لاختصاصهم المهني، أولا بمنعهم قانونيا من تقلد بعض الوظائف ومن المشاركة في بعض المسابقات، ثم ابتداء من سنة 1944، عن طريق المساواة القانونية المزعومة، التي كانت تخفي –في الواقع– لا مساواة صارخة في ظروف الالتحاق بتلك المهن.

لم تكن الصعوبات المادية التي واجهها الطلبة الجزائريون تكتسي طابعا مميزا، فلقد واجهتهم نفس المتاعب التي واجهت زملاءهم الفرنسيين، غير أن وضعهم ازداد تعقيدا بفعل ما يدعى "**المعامل الخاص**" الذي يعبر عن وضعيتهم الخاصة، باعتبارهم أهالي، وكانت مشاكلهم تزداد تعقيدا كلما اتسعت صفوفهم بمزيد من الطلبة القادمين من الأوساط الاجتماعية الأقل حظوة، لقد كان الطلبة الذين لم يكن لهم أقرباء يعيشون في مدينة الجزائر يجدون صعوبة كبيرة في الحصول على المأوى والإطعام بتكلفة محتملة (برفليي، 2007، ص ص80–81)، كانت جامعة الجزائر تضم دائما نسبة كبيرة من الطلبة المعفيين من المواظبة على الدروس نظرا لنقص مرافق الإقامة.

افتتح المطعم الجامعي لدار الطلبة سنة 1934، من طرف الجمعية العامة لطلاب الجزائر ولقد حدث ذلك في الوقت المناسب من أجل تخفيف العبء على الطلبة الفقراء بما فيهم الأهالي، كما أن ظروف الطلبة المسلمين الجزائريين المقيمين في فرنسا كانت صعبة للغاية، إذ كانت ظروف العيش طويلا في وسط غريب وبعيد تفرض عليهم تحمل نفقات ثقيلة جدا، ولا شك أن الطلبة الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط قبل سنة

1909، كانوا يتمتعون بسند قوي من لدن أسرهم، ومع ذلك فإن أولئك المحظوظين قد التحقت بهم جموع متزايدة من الطلبة الفقراء الذين أجبرهم وضعهم المادي الضعيف على الاشتغال لكسب لقمة العيش موازاة مع مواصلة الدراسة، نظرا لانعدام أي دعم من طرف الحكومة العامة (برفليي، 2007، ص ص 81-82)، وفي هذا السياق نستدل بشهادة أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان من بين أولئك الطلبة الجزائريين الذي عرفوا صعوبة التعليم بالخارج، والذي اعترف في هذه الشهادة أيضا بعدم كفاية المنحة بالمقارنة مع الاحتياجات المختلفة للطالب الجزائري في فرنسا، حيث كتب قائلا: "**في باريس- لم تتح لي بالطبع إمكانية مشاهدة كل ما كنت أرغب في مشاهدته، بسبب ضيق الوقت وقلة المال، كنت أخصص من المنحة الشهرية وهي 25 ألف فرنك قديم التي كان أخي يرسلها لي من الجزائر، سبعة آلاف لكراء الغرفة، وثلاثة آلاف للنقل وستة آلاف للأكل، وتبقى لي تسعة آلاف فرنك كمصروف جيب، يذهب الجزء الأكبر منها إلى حضور العروض الفنية، ويحدث أحيانا لي و"لحاجي" من أجل أن نصل الشهر بالشهر أن نؤدي أدوارا كممثلين صامتين في مسارح صغيرة أو نغسل الأواني في مطعم جامعي مخصص للطلبة المرضى أو في طور النقاهة، وكان الأجر عبارة عن وجبة مجانية، لكنها ألذ من وجباتنا المألوفة، على أن أفضل الأكلات كانت حين تستضيفنا إحدى الأسر الجزائرية في (Aubervilliers أوبرفيلي) لتناول الكسكس**" (الإبراهيمي، 2006، ص90). ظل الطلبة الجزائريون في باريس يشتكون أكثر من أي وقت مضى (سنة 1935) من التدهور الخطير الذي آلت إليه ظروف حياتهم (برفليي، 2007، ص 83)، فمن بين طلبة بلدان المغرب العربي في باريس، كان الجزائريون أكثرهم فقرا، حيث كان عليهم أن يكملوا دراستهم مع التكفل ببعض الأعمال الصغيرة الشاقة كسبا لقوتهم، وقد تعرض هؤلاء أكثر من غيرهم من الأجانب إلى التمييز العرقي والإهمال (لشرف، 2007 ص 140)، وهذا ما جعل رئيسهم أحمد بومنجل يوجه رسائل مفتوحة إلى السلطات المسؤولة، يشرح فيها أوضاعهم المتردية: فيبدو أن 27 طالبا مسلما جزائريا فقط، من بين 54، تمكنوا من إتمام الدراسة في مدينة الجزائر، وهكذا حق لبقية الطلبة أن يطالبوا بمزيد من "**الإعانة**". والحق أن الطالب الأهلي عندما يغادر الجزائر، فإنه يصطدم بصعوبة التأقلم مع وضعه الجديد فهو على العموم فقير، وغريته في وسط مغاير لما ألفه أشد عليه من بقية الطلبة، وكان عليه أن يبذل جهودا مضنية ليتبوأ مكانة حسنة في جامعات فرنسا؛ ونظرا لانتمائه إلى الفئات الشعبية فقد عاش حياة ضنكا، وبما أنه من أفراد الأسر الفقيرة الكثيرة العدد، فلم يكن يتوقع أية إعانة من طرف والديه، ولذلك فهو يعيش منفردا ومعزولا ومضطرا على الدوام إلى استجداء أموال المستعمرة (برفليي، 2007، ص 83).

وهذه شهادة أخرى لمصطفى لشرف يقر فيها بسوء أوضاع الطلبة الجزائريين بالمقارنة مع أقرانهم التونسيين والمغاربة فيقول: "**فبالإضافة إلى كون أغلبية الطلبة التونسيين والمغاربة - بصفة أخص- قد أتوا من أوساط ميسورة ماديا، فقد كانوا محظوظين بالاستفادة من منح خصصت لقدماء "الصادقية" أو"المجمع العلوي"، وحتى من مختلف الدواوين الاقتصادية في كل من تونس والمغرب الممثلة في باريس، دون أن**

ننسى ما حضي به إخواننا المغاربة من فرصة الحصول على جناح خاص بطلبة المغرب في الحي الجامعي المشهور، أما بالنسبة لطلبتنا الجزائريين فقد كانوا محرومين من كل شيء، ولم يكن من السهل عليهم الحصول على سكن عند بعض الخواص (...)، ما خفف من عزلتهم وعهدهم الأول بالمنفى في فرنسا؛ هو ما وجدوه من ضيافة أخوية في" 115 شارع سان ميشيل"- مقر نادي الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين- كانوا يجتمعون هناك في أوقات الأكل بإخوانهم التونسيين، بينما كان الطلبة المغاربة مدللين أكثر من طرف بلدهم وجمعياته التضامنية؛ فكان لهم في باريس في نفس الحي اللاتيني بنهج Serpente مقر خاص بهم، حيث كانوا يضيفوننا أحيانا" (لشرف، 2007 ص ص 140-141).

بعد الحرب العالمية الثانية عاش الجميع ضائقة لم يسبق لها مثيل، فلقد اضطر أغلب الطلبة الجزائريون – حفاظا على رمق الحياة – أن يصطفوا في الطوابير البشرية التي كانت تلتمس تذكرة الوجبات المجانية – وكانت هيئة "**الإسعاف الوطني**" تقدم لهم قروضا شهرية ضئيلة لحفظ ماء الوجه ولكنها لم تكن تسد كافة احتياجاتهم، وحينذاك كان تضامن الجماعة الشمال- إفريقية معهم هو وحده الذي أنقذهم من الموت جوعا (برفليي، 2007، ص 84).

يذكر أغلب الباحثين بأن الحرب خلفت آثارا كبيرة جدا على وضعية الطلبة المسلمين في مدينة الجزائر، فقد عانى الطلبة من ندرة المواد الغذائية وشتى المواد الضرورية الأخرى، وعانى هؤلاء من استيلاء الحلفاء ولجنة فرنسا الحرة على عمارات السكن الجامعي (بما فيه دار الطالب)، وكذا بعض البيوت الخاصة ناهيك عن اضطراب المسار الدراسي بسبب حملة التجنيد (سنة 1939- 1940) وسنة (1942-1945).

وفضلا عن ذلك، كانت منح الحكومة العامة (ما بين 2000 إلى 3000 فرنك) هزيلة جدا، ومع ذلك يعتبر الحاصلون عليها من الطلبة محظوظين جدا، لأن معظم الطلبات كانت تمر بفترة انتظار لا تكاد تنتهي قبل أن تواجه في الأخير بالرفض.

والواقع أنه كانت هناك العديد من الشكاوى التي تندد بالإجراءات الإدارية المعقدة، وبندرة الردود الإيجابية وبعدم كفاية الإعانة المقدمة، وحسب ما أورده أمقران ولد عودية في نوفمبر 1950 فإن المنح كانت تسلم من طرف الحكومة العامة والمجالس العامة (للعمالات الجزائرية الثلاثة) ونادرا جدا ما تصدر من وزارة التربية الوطنية.

صار الطلبة الجزائريون في ديسمبر 1952 يتقاضون منحا تدعى "**المنح الولائية**" تصل إلى 60 ألف فرنك في العام، كانت تلك المبالغ زهيدة جدا لأن حاجة الطلبة تفوق ذلك بثلاثة أضعاف لكي تفي بتغطية مصاريف سنة كاملة، ولذلك التمس الجزائريون مساواة مبلغ منحهم بمبلغ منح زملائهم الفرنسيين، وبموجب ذلك استفاد بعض الحاصلين على المنح – وكان عددهم قليلا – من منح سلمت لهم في فرنسا (قيمتها 16000 فرنك في السنة) واستفاد الباقي من منح " جزائرية" (تراوحت بين 10.000 و 90.000 فرنك في السنة)، وذلك هزيل مقارنة بحجم حاجيات الطلبة الجزائريين التي كانوا يقدرونها بحوالي 294.500 فرنك سنويا، ولكن لم

يكن معدل مصادرهم يتجاوز 102.000 فرنك في السنة (8.500 شهريا)، الأمر الذي حتم على الكثير من الطلبة الجزائريين بنسبة 27% الاشتغال بوظائف لسد احتياجاتهم حسب تحقيق اتحاد الطلبة الجزائريين في باريس (برفليي، 2007، ص 89).

يجوز لنا أن نتساءل هنا عن دوافع هجرة الطلاب الجزائريين لاستكمال دراساتهم بباريس، إذا كانت ظروفهم المعيشية تماثل –من حيث الصعوبة– تلك الظروف التي يجدونها في الجزائر، إن السبب الرئيسي لتلك الهجرة متمثل أساسا في استحالة الحصول على بعض الشهادات من المدارس العليا ومن جامعة الجزائر، ولقد أخذ يزول تدريجيا مع تطور قائمة الاختصاصات المتوفرة، كما أن حصول الوعي والنضج الفكري جعل الطموح يستولي شيئا فشيئا على اهتمامات الطلبة، أضف إلى ذلك لإمكانية الحصول على أساتذة أحسن في المتربول من أولئك الموجودين في الجزائر، ولوجود زملاء لا تشوبهم النظرة العنصرية اتجاههم، كما كان يظن بعض الطلبة أيضا أنهم هناك سوف يكونون بعيدين عن مراقبة الإدارة الاستعمارية الفرنسية لهم، والبعض الآخر يعتقد أنه قد تحرر من تسلط وسطه الاجتماعي وكانت باريس بوجه خاص تستهويهم بسبب سمعتها الليبرالية(Ageron, 1983 p26).

وبالرغم من ذلك فإن الأسر المغاربية كثيرا ما كانت تفضل الجامعات الواقعة في المقاطعات الأخرى لأبنائها من أمثال تولوز Toulouse وبوردو Bordeaux ومونبلييهMontpelier وآكس أون بروفانس–Aix en Provence والمتميزة بمناخ أقل قسوة وجو أخلاقي أكثر ملاءمة، والحقيقة أن 70 إلى 80% من الطلاب الشمال أفريقيين التحقوا بباريس من أجل إكمال دراستهم الجامعية.

ربما يظن البعض أن الانتقال إلى المتربول كان سهلا أو على الأقل سهلته الإدارة الاستعمارية بالجزائر، ولكن الأمر على خلاف ذلك تماما، فلقد كانت الحكومة العامة بالجزائر تخشى تأثير الطلاب الوطنيين المغاربة والتونسيين على الطلاب الجزائريين، بل وأصرت هذه الحكومة عبر ممثل مكتب شؤون الأهالي "**بإبقائهم في الجزائر**" وتم التأكيد على هذا الكبح حتى سنة 1933 وذلك بإرسال الطلبة إلى فرنسا لإكمال الدراسات المتخصصة فقط غير الموجودة في الجزائر، والعمل على حرمان غير الممنوحين من الذهاب إلى باريس، لكن مدير مكتب الشؤون الأهلية لويس مايو Louis Maillot أصبح متخوفا منذ سنة 1936 من توجه الطلاب الجزائريين إلى مصر بدل فرنسا حين صرح قائلا: "**أفضل ذهاب الطلاب المغاربة إلى المتروبول بدل ذهابهم إلى القاهرة**" (Ageron, 1983, p26).

هذه الظروف الصعبة التي عاشها الطلبة الجزائريون في فرنسا، جعلتهم يدركون أن المجتمع الفرنسي لن يتقبلهم بالرغم من استيعابهم للثقافة الفرنسية، وأيقنوا أنه لا وجود في الواقع "**لفرنسا الحقيقية**" التي كانوا يبحثون عنها، واكتشفوا أن المواطنة الخاصة التي يحملونها هي العقبة الحقيقية التي تحول دون تحسين أوضاعهم، وكانت تلك الظروف مجتمعة هي التي دفعتهم إلى تشكيل منظمات طلابية بمعزل عن الحركة الطلابية الفرنسية (برفليي، 2007، ص ص 98–103).

2. المنظمات الطلابية

كانت الحركة الطلابية الفرنسية تشتمل على ثلاثة أنماط من الجمعيات، تتميز عن بعضها بشكل واضح في البداية، فالجمعيات العامة التي تأسست في كل مدينة جامعية، ابتداء من سنة 1887، قد انضوت في تنظيم فدرالي موحد، منذ 1907 يدعى "**الاتحاد الوطني لجمعيات طلبة فرنسا**" وقد تحول فيما بعد إلى ما يعرف باسم "**الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا**" هدفت تلك الجمعيات إلى جمع شمل الطلبة دون تمييز في العقيدة أو الرأي؛ وسعت إلى تقديم الإعانة المادية والمعنوية لهم، كان للطلبة الجزائريين – مبدئيا– مكانهم في تنظيمات الجمعيات العامة والاتحاد الوطني، وقد أثرت فيهم بشكل قوي ولكنهم تجمعوا مع رفقائهم من المحميات المجاورة في إطار جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في مدينة الجزائر منذ 1919، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (A.E.M.N.A) Association des Etudiants Musulmans Nord Africains بباريس بفرنسا سنة 1927.

كان الإنجاز المادي للجمعية العامة للطلبة الجزائريين أكثر تميزا، فقد أنشأ مقره سنة 1923 في شارع (Isly) وأنجز دارا للطلبة من سنة1924 إلى1934 في شارع Baudin، ثم الحي الجامعي الذي تم تخطيطه منذ 1928 وتحقق انجازه ما بين 1948–1950 بفضل إعانة السلطة العمومية، كما أنشأت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس ناد ومكتبة ومطعما تعاونيا ودارا للطلبة وكانت كل تلك الجمعيات تقدم قروضا شرفية ومنحا للطلبة المحتاجين وتسعى إلى تقديم الطالب للجمهور ليكسب وده (من خلال برمجة نشاطات ترفيهية وثقافية).

كما سعت – فضلا عن ذلك–إلى إزاحة التصورات الخاطئة التي جعلت الناس ينظرون إلى الطالب نظرة "**الابن المدلل**" الذي لا يشغل باله هم ولا يؤرقه احتياج، وفي هذا السياق صرحت ودادية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا قائلة: "**ينبغي أن يدرك السكان المسلمون أن الطالب الأهلي الجزائري هو النموذج الحي للطالب المعوز؛ وحتى في حالة انتسابه للبرجوازية الزراعية، فهو محروم من الوسائل المالية، ومجبر– في أغلب الأحيان – على خوض صراع مرير وشاق**"..."**فلا يعجبن أحد إن وجد جمعيتنا تطلب من كل محبيها دعما معنويا ضروريا وكذا دعما ماليا لا يقل ضرورة**".

لقد كان الطلبة مؤمنين بضرورة تحرير شعبهم بواسطة سلاح العلم الذي يمدهم به التعليم الفرنسي، وعندما استفادوا من دعم السلطات العمومية بفضل جهود الجمعيات الطلابية، تحصلوا بموجب ذلك على إنجازات هامة متمثلة في تشييد الأحياء الجامعية كالحي الدولي بباريس وفتح مصحة Saint–Hilaire في Touvet وديوان الرياضة المدرسية والجامعية والمركز الوطني للخدمات الجامعية والمدرسية والمكتب الجامعي للإحصائيات ...

ورغم أن البرنامج المسطر لهذه الجمعيات الطلابية هو الإغاثة المتبادلة والنشاط التعاوني إلا أنه لم يكن إلا غطاء قانونيا أمام السلطات الفرنسية، إذ لم يتردد الطلاب المنخرطون من الاعتراف بأن تجمعاتهم كانت سياسية بشكل أساسي (Ageron, 1983 p 31).

والواقع أن هؤلاء الطلبة كانوا شديدي الارتباط بعائلاتهم ووطنهم؛ من خلال المشاركة في قضية استقلال بلادهم والمطالبة بتحسين أوضاع شعبهم.

ويمكن أن نقول إن هذه المنظمات الطلابية لم تكن قط أحزابا منظمة ولا هي تكتل لحركة سياسية في الخارج، لكنها مهد ثقافي أو إيديولوجي ومدرسة من الكوادر ومكتب للدعاية الوطنية (Ageron, 1983 p 48).

3. الطلبة الجزائريون والقضية الوطنية (الاتجاهات السياسية والارتباط بالعائلة والوطن)

في حديثه عن الطلبة الجزائريين، صاغ المؤرخ عمار هلال هذه الفكرة قائلا: "**واكبت الحركة الطلابية الجزائرية منذ نشأتها الحركة الوطنية الجزائرية، وشاركتها في اتخاذ القرار وتنفيذه، وسلكت نفس الاتجاهات والميول التي سلكتها الحركة الوطنية الجزائرية، ومن ثم فهي جزء لا يتجزأ من هذه الحركة الأخيرة**" (هلال، 2004، ص12).

"**الطلبة الجزائريون**" هي هيئة سياسية كانت تضم الطلبة المسلمين الجزائريين وكانت هذه الهيئة تعرف في كل فترة – منذ العشرينيات– تحت اسم معين، ففي سنة 1931 كان مقر الجمعية الطلابية بمدنية الجزائر وكانت تعرف تحت اسم "**الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية**" وقد تأسست خلال سنة 1918 وكانت لها مجلة خاصة بها تعرف بـ "**التلاميذ**"، كما كان لها نشاط "**ثقافي وسياسي**" وقد ذكر فرحات عباس منظمة الطلبة الجزائريين تحت اسم "**جمعية الطلبة**"، كما أن رئيس هذه الجمعية حضر المؤتمر الذي انبثق عنه إصدار بيان الشعب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية، مما يعطينا دلالة واضحة عن تمكن الوعي السياسي من الطلاب الجزائريين منذ وقت مبكر من القرن العشرين (مرتاض، 1983، ص ص79–80).

4. الطلبة الجزائريون والثورة التحريرية الجزائرية

لقد كان نضال الطلبة الجزائريين فوق أي اعتبار أولا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي تأسس في 14 جويلية 1955، ثم في فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة التحريرية (الإبراهيمي، 2006، ص91). وتجدر الملاحظة هنا إلى أن الوسط الطلابي كان قد اهتز قبيل اندلاع الثورة جراء الخلافات التي كانت تعرفها الحركة الوطنية، وكان أكبر عائق يقف أمامها هو أن تكون هناك منظمة طلابية جزائرية خالصة متفتحة على جميع الاتجاهات، دون تمييز إيديولوجي أو ديني (جربال،2013، ص ص 45–46)، لكن الثورة الجزائرية كانت قضية أسمى فوق كل اعتبار لذلك وحسب تعبير أحدهم فإن نضال هؤلاء سيؤدي بهم إلى انتهاج أسلوب آخر بعيد عن العلم ومنابره توحدهم في ذلك القضية الوطنية حيث قال:

"أن الثورة ليست كلمة نبيلة ولا هي مطمئنة فأصدقاؤها هم الأيادي القذرة والأفواه المرة والرجال الخشنون. وإذا كانت كلمة ثورة محقة رغم بعض وساختها، فلأنها مكثت طويلا بجانب أولئك الذين يتلقون الضربات (ضربات الدهر وضربات السلطة وضربات الشرطة) وبجانب القابعين في دهاليز الاضطهاد حيث بقايا من الإحساس الغريزي بالعدل".

وكان الطلبة في فرنسا يردون على اتهامات بعض الشخصيات الفرنسية التي كانت تصف الثوار بالمتمردين، ومن أمثلتهم أحمد طالب الإبراهيمي الذي صرح للرئيس الشرفي للاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين: **"أريد أن ألح على أنه إذا كان المقصود بالمتمردين رجالا يطالبون بحريتهم، ولا يطالبون بها إلا بالسلاح، فلأن كل الأبواب أوصدت في وجوههم، رجالا يكافحون في سبيل كرامتهم وحقهم في الوجود. إذا كان المقصود بالمتمردين هؤلاء الرجال، فإن كل المسلمين الجزائريين والطلبة، والطلبة جزء منهم متمردون"** (الإبراهيمي، 2006 ص97).

أثار الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تضامن جيل كامل من الطلاب في جميع أنحاء العالم مع الثورة التحريرية الجزائرية، وكان من بين أولى الجمعيات ذات الصفة القانونية التي مثلت ورسمت تطلعات الثورة الجزائرية، وقد تجذرت بين الأوساط الطلابية الجزائرية المسلمة وطلاب الثانوي ليس بالجزائر فحسب بل حتى في فرنسا، وبذلك كان هذا الاتحاد التجسيد الحي للثورة التحريرية الجزائرية.

لقد كان تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في مناخ طلابي عالمي سيطر عليه صراع الحرب الباردة، ففي خضم إنشاء الاتحاد الدولي للطلبة ببراغ سنة 1946 الذي وقع تحت تأثير المد الشيوعي واستيلاء الاتحاد السوفياتي على تشيكوسلوفاكيا سنة 1948، تم تنظيم مؤتمر دولي للطلبة سنة 1950 كرد على هذه الأحداث، وانبثق عنه تكوين أمانة تنسيق للاتحادات الطلابية الغربية (COSEC) Coordinating Secretariat of National Unions of Students بمدينة لايدن بهولاندا، وحين ذاك تأكد لأعضاء الاتحاد (UGEMA) Union Générale des étudients musulmans algériens حسب تصريح مسعود آيت شعلال ضرورة الاندماج في الحركات الطلابية الدولية كأفضل طريقة لحماية الطلاب الجزائريين والحد من ضعفهم والزيادة من نضالهم وتوسيع كفاحهم التحرري (Clement Moore, 2010 p26)، وتم هذا التأسيس في جو من المعارضة العنيفة من طرف الطلبة الفرنسيين التي اتضحت خلال الأحداث التي جرت لاحقا، ويكفي أن نستدل هنا بالأحداث التي جرت خلال عقد المجلس الدولي الخامس عشر للطلبة بمدينة براغ، فحين طالب بعض الطلبة المغاربة بالوقوف دقيقة صمت ترحما على أرواح الجزائريين شهداء كفاحهم ضد الاستعمار، عارض الطلبة الفرنسيون ذلك المطلب وأيدهم الطلبة الإنجليز والسويسريون، الذين طالبوا بدلا عن ذلك بإحياء تشريف كل الطلبة في العالم الذين قتلوا خلال كفاحهم ضد الاستعمار، وهو الأمر الذي رفضه الطلبة العرب الحاضرون وبعض الطلبة الهنود وتم التصويت بعد ذلك لصالح ما اقترحه الطلبة المغاربة، وفي يوم الغد تم الوقوف دقيقة صمت منذ بداية الجلسة نكاية، لكن الطلبة السويسريين والإنجليز غادروا القاعة في

حين بقي الطلبة الفرنسيون (C.A.D.C.M.A.E, Incident au XI congres de l'Union Internationale des Etudiants (Prague-28/8 au 4/9, 1956), 1956).

ولما كانت جبهة التحرير الوطني في الجزائر تدرك أهمية الطلبة والمثقفين، اتصل مبعوثها محمد لبجاوي بأحمد طالب الإبراهيمي بفرنسا طالبا منه الانسحاب من رئاسة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والانضمام إلى فيدرالية جبهة التحرير (الإبراهيمي، 2006، ص 105) بذات البلاد والتي كانت برئاسة محمد لبجاوي وتضم محمد حربي، ورضا مالك لكن ما لبثت حتى اكتشفتها السلطات الفرنسية وقامت باعتقال كل أعضاء المكتب وسجنهم في نهاية شهر فيفري سنة 1957 (هلال، 2004، ص 48).

ومن أهم المهام التي أوكلت لهذه الفيدرالية:

-إشاعة تسمية جبهة التحرير الوطني محل الحزب.

- تحسيس الرأي العام الفرنسي من خلال الاتصال بالصحافة وممثليها.

- تمتين العلاقات مع الإخوة التونسيين والمغاربة عبر السفارات ومختلف المنظمات من أجل إضفاء البعد المغاربي للثورة (الإبراهيمي، 2006، ص 105).

كان الطلاب الجزائريون شعلة ثورية متحمسين لمبادئ الكفاح الوطني، فركزوا في بداية الأمر على عزل الاستعمار الفرنسي وتحديد مواقف الطلاب منه، بواسطة التحرك الفعال في الميدان من خلال القيام بالإضرابات مثل الإضراب التاريخي الذي قام به الطلبة الجزائريون في 19 ماي 1956.

ومن ناحية أخرى لا يمكن أن نستثني انضمام الكثير من الطلبة الجزائريين إلى جبهات القتال وتذكر مثلا بعض الإحصاءات في الولاية الثالثة أن نسبة المتعلمين في صفوف جيش التحرير الوطني قدرت بـ 8 % كان هؤلاء يسهرون على تسيير مختلف النشاطات الإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

وفي الميدان الإعلامي ساهم الطلاب والمثقفون الجزائريون في إنشاء الصحف المحلية وتحرير المناشير وتوزيعها ومن أهم تلك الصحف نذكر "الثورة"، "**صوت الجبل**"، "**الحرب**" وغيرها. (هلال، 2004، ص ص 60-61).

ومن باب الإنصاف، قد يكون لزاما علينا أن نشير إلى المساهمة الحاسمة للطلبة الجزائريين في النضال الوطني، عبر مختلف أرجاء العالم.

1.4.مساهمة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (مصر) في الثورة

الواقع أن الطلبة الذين زاولوا دراساتهم بالمشرق العربي كمصر، الشام، والكويت كان لهم الدور المهم في الثورة الجزائرية، ومن الطلاب الذين تولوا مسؤوليات في رابطة الطلاب الجزائريين في القاهرة، فيما بين سنتي 1956-1959 نجد: عبد الرحمان مهري، عيسى بوضياف، علي مفتاحي، عبد القادر بلقاسي، يحيى بوعزيز وأبو القاسم سعد الله هذا الأخير الذي ألقى كلمة لإحياء ذكرى أول نوفمبر باسم الطلبة الجزائريين في نادي طلاب المغرب العربي (القاهرة) بمناسبة الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية، والتي ذكر فيها الحضور أن هذه

الثورة ليست ثورة الجزائر فحسب، بل هي ثورة العرب التي تهدف إلى التحرر من براثن الاستعمار (سعد الله، 1990، ص 224)، وقد اتخذ التفاف الطلبة الجزائريين حول ثورتهم أشكالا شتى فأصبح بعضهم جنودا في جيش التحرير ومنهم من كان مسؤولا في التنظيم السياسي للجبهة، كما ساهم العديد منهم في إدخال الأسلحة من الخارج أو الالتحاق بالتدريبات العسكرية التي كان يشرف عليها عبد الكريم الخطابي في مصر ثم يلتحقون بالجزائر لتلبية نداء الجهاد، ولم يكن نشاط الطلبة محصورا في هذه الجوانب فحسب، بل تجاوزه إلى عمل دعائي هام كان يهدف بالأساس إلى إزالة الصورة المشوهة التي علقت بأذهان العرب والمسلمين في أرجاء مختلفة من العالم، نتيجة الادعاءات الكاذبة التي ظلت الدوائر الاستعمارية تلصقها بالجزائر، فزالت صورة الجزائر الفرنسية تدريجيا لتحل محلها الجزائر العربية الإسلامية (بومالي، 2007، ص ص 229-231).

وكان هؤلاء الطلبة ينشطون من خلال نشريات ثقافية – رغم قلة الإمكانات المادية- فأصدرت أعداد ضمت العديد من المقالات والأبحاث الهامة، والتي كانت تعبر بشكل صريح عن وجهة نظرهم إزاء القضايا الوطنية، ولم يقتصر عملهم على ما ذكر آنفا بل تعداه إلى النشاط الإذاعي لنقل أخبار الثورة وصداها قبل تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة وبعدها، حيث خصصت إذاعة صوت العرب حصة إذاعية عرفت باسم "**كلمة الجزائر**" والتي كان على رئاسة تحريرها مجموعة من الطلبة الجزائريين نذكر منهم: تركي رابح، يحيى بوعزيز، عبد القادر بن قاسي وغيرهم من الطلبة، ومن جهة أخرى كانت المحاضرات والندوات النشاط الأساسي لجموع الطلبة الجزائريين، والتي كانت تنظم أسبوعيا خاصة ما بين سنتي 1959-1960 ومن أهم المحاضرين نجد مالك بن نبي، الذي ألقى محاضرة بعنوان الديمقراطية في الإسلام، بوعلام صديق في محاضرة تحت عنوان "**دور المرأة الجزائرية في الثورة**"، وأبو القاسم سعد الله الذي ألقى محاضرة بعنوان "**محمد العيد آراؤه وتجاربه**"، ويمكن القول بشكل مقتضب كما أردف فرحات عباس قائلا: "**كونت الثورة الجزائرية من بينكم (يقصد الطلبة الجزائريين) عددا من التقنيين، في ظرف ستة سنوات فاق بكثير تلك الأعداد التي كونها الاستعمار الفرنسي خلال 130سنة، مرت على احتلاله للوطن...**" (هلال، 2004 ص ص75-83).

2.4. مساهمة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (سوريا) في الثورة التحريرية

غير بعيد عن مصر بذل الطلبة الجزائريون في سوريا جهودا مضنية للتعريف بقضيتهم الوطنية، حتى أصبح الطالب يشعر وكأنه جندي احتياطي وبذلك يصبح لزاما عليه أن يغادر مدرجات الجامعة في أية لحظة لينتقل إلى العمل المسلح، وعلى هذا الأساس أصبح مجبرا على أن يسلك كل السبل التي تمكنه من تحقيق تلك المهمة النبيلة، حيث انضوى الطلبة الجزائريون في تنظيمات طلابية في جميع دول الوطن العربي بداية من سوريا التي أسس فيها الطلبة أول منظمة لهم في مارس سنة 1955 تحت اسم "**لجنة الطلبة الجزائريين في دمشق**". وبتنسيق مع طلبة تونس والمغرب استطاعت أن تنشئ "**رابطة طلاب المغرب العربي في سوريا**" التي كانت أول منظمة طلابية نقابية في سوريا تعترف بها الحكومة السورية، وتم إصدار "**كفاح المغرب العربي**" وهي مجلة أسبوعية تسحب منها خمسة آلاف نسخة وتوزع أكثر من ألف نسخة في الجامعة، وقد استمرت في

الصدور سنة ونصف دون انقطاع ومن بين هؤلاء الطلبة الناشطين نذكر الشريف سيسبان، عبد العزيز سعد، العربي طوقان، علي رياحي، بلقاسم النعيمي، عبد الرحمان شطيطح، بلقاسم خمار، ومحمد مهري (بومالي، 2007، ص ص 230-231).

والحق أن رابطة طلاب المغرب العربي في سوريا قد قامت بأعمال جبارة في سبيل التعريف بكفاح بلدان المغرب العربي، كان ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وتنظيم المظاهرات والمهرجانات وتوزيع العرائض لتعبئة الجماهير العربية في سوريا، وبعد الزيارة التي قام بها وفد جبهة التحرير الوطني بتاريخ 13 ماي 1957 تمت إعادة تفعيل فكرة التضامن بين الشعبين السوري والجزائري، والذي تجسد بشكل ملموس بعد الحفل الذي أقيم على مستوى الرئاسة السورية على شرف وفد جبهة التحرير يوم 16 ماي من نفس السنة، فبعد الخطاب الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي باسم الوفد، والخطاب الذي ألقاه الشيخ مكي الكتاني، والكلمة التي ألقاها الرئيس السوري شكري القوتلي والتي دارت حول التضامن المالي لتمكين الجزائريين من إتمام مسيرة النضال والكفاح الثوري ضد فرنسا، قدم الرئيس القوتلي صكا بقيمة 132130 دولار، وتشجيعا للطلاب الجزائريين قام العقيدّ أوعمران عمار رفقة عبد القادر منوس بتاريخ 31 مارس 1958 بزيارة المدرسة العسكرية بحلب للقاء الطلاب الجزائريين الذين يتلقون تدريبات عسكرية، حيث كان ذلك بمثابة دعم معنوي لهم (C.A.D.C.M.A.E, Activité de la délégation du F.L.N a Damas, 1957).

3.4. نشاط طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في العراق

فتحت الجامعات العراقية أبوابها للطلبة الجزائريين في زمن عسير من عمر الحركة الوطنية، فاستقبلت سنة 1952 أول بعثة طلابية مكونة من 11 طالبا، التحقوا بدار المعلمين العالية ببغداد، كان من بينهم أبو العيد دودو والأخضر بوالطمين، كانت هذه البعثة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تتكفل دائما –على نفقتها الخاصة– بإرسال الطلبة لإتمام دراستهم في المعاهد والجامعات الكبرى خارج الوطن (تركي، 2001 ص 388)، وقد تفاعل الطلبة الجزائريون مع التنظيمات الطلابية العراقية واستفادوا من تجربتهم تلك، فأسسوا تنظيما خاصا بهم وبرز منهم مثقفون نشطون وأصحاب أقلام جريئة دافعت عن القضية الوطنية، كان من أبرزهم: محمد السعيد أمقران وحمادي بغريش...

وحسب بعض الروايات فإن العراق كانت أول بلد عربي يستقبل بعثة طلابية بهدف التدريب العسكري، وذلك منذ 1952، وكان مقررا أن يتم التدريب بصورة مكثفة لمدة سنة كاملة، على أن يصبح الطلبة مدربين مستقبلا، وفضلا عن ذلك ساهم الطلبة في النشاط الفكري والثقافي وحتى السياسي وذلك لسببين هما: تشبعهم بالفكر الإصلاحي عندما كانوا على مقاعد مدارس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ثم استفادتهم من الأطياف السياسية التي وجدوها بالعراق، التي لم تكن تخلو من البعثية، القومية، الإسلامية واليسارية وغيرها (مريوش، 2006، ص ص 275-278).

4.4. إسهامات طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الكويت والولايات المتحدة الأمريكية في الثورة التحريرية

إذا كانت بعض البلدان العربية قد عرفت وجود التنظيمات الطلابية الجزائرية بشكل مبكر، فإن بعض الدول الأخرى لم تعرف هاته المنظمات إلا بعد الخمسينيات من القرن العشرين، وتعد أول بعثة هي بعثة طلبة جمعية العلماء المسلمين في مارس 1950 والتي كانت مكونة من أربعة عشر طالبا بغرض مزاولة الدراسة في ثانوية الشيوخ بالكويت، وكان على رأس قائمة هؤلاء الطلبة محمد الشريف سيسبان. (مريوش، 2006 ص 273).

ويذكر عمار بوحوش في إحدى مقالاته أنه بمعية العديد من الطلبة الجزائريين تم إنشاء فرع لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين بالكويت سنة 1956 بعد ترجمة اللائحة العامة للاتحاد، وكانت الوثائق تأتيه من شخصيات مرموقة كأحمد توفيق المدني الذي كان وزيرا للثقافة آنذاك، والسيد محمد يزيد وزير الإعلام، وقد حظي هذا الفرع بزيارة رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة فرحات عباس رفقة السادة: كريم بلقاسم، وأحمد فرنسيس، وعلي كافي، وحينذاك تم إخبار الطلبة بوجود احتمال نقلهم إلى الحدود الجزائرية التونسية لتعليم أطفال الجزائر المحرومين من التعليم.

وعند تخرج دفعة سنة 1960 من ثانوية الشيوخ بالكويت، قررت الحكومة الجزائرية المؤقتة إرسال المتحصلين على البكالوريا إلى دول أوربا الشرقية والدول العربية وإلى الولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة الدراسة هناك.

وقد كان عمار بوحوش ضمن مجموعة من الطلبة أبرزهم: "**بشير ولد رويس، مريم براح، سعاد زاوش، مروان الشندرلي، طارق راجف، شكيب خليل، عبد الرحمن مقاتلي، وأبو القاسم سعد الله**" الذي كان يترأس اللجنة الثقافية لمنظمة الطلبة المسلمين الجزائريين بالولايات المتحدة الأمريكية، والذين تنقلوا انطلاقا من تونس ثم روما إلى نيويورك لمواصلة دراساتهم، وكانت منظمة الطلبة المسلمين الجزائريين تنسق أعمالها مع الاتحاد الوطني للطلبة الأمريكيين "United States National Student **Association U.S.N.S.A**"، والجدير بالذكر أن فرع منظمة الطلبة الجزائريين بالولايات المتحدة الأمريكية كان يقوم بأعمال جبارة، تلخصت في جمع المعونات والملابس والمبالغ المالية وإرسالها إلى تونس لمساعدة اللاجئين الجزائريين بتونس، وإلى الهلال الأحمر الجزائري، وقد بلغ إجمالي المساعدات المالية المقدمة من طرف ذات المنظمة بالولايات المتحدة ما يقدر بـ 2062 $ دولار أمريكي[2] (بوحوش، 2005، ص ص 902-908).

برز الطلبة الجزائريون في تلك الفترة وكأنهم سفراء للثورة الجزائرية في كل جامعة أمريكية، حيث كانت مهمتهم تتمثل في كسب تأييد الطلبة الأمريكيين، وإسماع صوت الجزائر في المحافل الدولية وإقناع الجماهير بحقها في تقرير المصير، فكانت الآمال معلقة عليهم بشكل كبير، ولأجل ذلك كلفوا بجمع الملابس وتوزيعها على اللاجئين الجزائريين وتوزيع صور خاصة بهؤلاء على الأمريكيين لكسب التعاطف والمساندة، وقد كانت

البعثة الجزائرية لدى هيئة الأمم المتحدة تعول كثيرا على أولئك الطلبة وهذا ما جاء فعلا على لسان رئيسها عبد القادر الشذرلي في أول لقاء بينه وبين الطلبة، إذ حثهم على التمسك بواجبين هما: التعلم والتعريف بالقضية الوطنية من خلال إلقاء المحاضرات وتنظيم الندوات وغيرها.

وبفضل اتصالات المنظمة مع اتحاد الطلبة الأمريكيين، تم توجيه رسالة احتجاج في 9 أكتوبر 1961 إلى وزارة العدل الفرنسية تندد بالوضعية المزرية التي كان يعيشها أحمد طالب الإبراهيمي بعد اعتقاله، وبعد أن تدهورت حالته الصحية وبقاؤه دون محاكمة لمدة خمس سنوات (بوحوش، 2005، ص ص 906-908).

5.4. صدى الثورة التحريرية في الأوساط المثقفة بأمريكا الجنوبية

في نهاية شهر جوان سنة 1956 تم تأسيس "**جبهة من أجل تحرير الجزائر**"، كان الهدف منها هو خلق دعاية في الأوساط الطلابية الأرجنتينية العربية من الأصول اللبنانية والسورية، وأيضا في الأوساط الثقافية والسياسية الأرجنتينية، بغية إحداث حركة تعاطف وتضامن لصالح النضال الذي يقوم به الثوار الجزائريون من أجل تحرير بلدهم.

تأسست هذه المنظمة إثر النشاط الذي قام به السيد عيسى النخلة الذي ينحدر من أصول فلسطينية بالتعاون مع السفارة المصرية بالأرجنتين، وبالتعاون مع اللجنة الأرجنتينية لتحرير شمال إفريقيا التي تأسست نهاية سنة 1952 عند زيارة علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المغربي.

وإن كنا لا نعرف الكثير عن نشاط الطلبة الجزائريين في الأرجنتين، إلا أن هذه الجبهة ضمت مجموعة مثقفة ذات وزن على الساحة الثقافية والسياسية في هذه البلاد، فقد ضمت هذه الحركة –بالإضافة إلى رئيسها السيد عيسى النخلة المؤسس الرئيسي– السيد لويس عطا الله نائب سابق لمدينة قرطبة الأرجنتينية مدير جريدة Mundo Arabe العالم العربي، والدكتور أنايو ايمونيار Anaio Aimonaiar رئيس منظمة الشبيبة الارجنتينية المنحدرة من أصول عربية، والسيد ميقال كوسما Miguel Cosma راوي وإشهاري، عبد اللطيف الجشن رئيس الجمعية العربية الأرجنتينية، السيد ابراهيم هلار عضو ناشط في الرابطة العربية.

وقد خططت هذه الجبهة من جهة أخرى لتوسيع نشاطها وفروعها في دول أخرى كالبرازيل والشيلي، عندما نصبت مراسلين لها أمثال السيد "**علي محمد الحاج**" في البرازيل والسيد Zurob Jorge Sabaj "**جورج سباج زوروب**" على مستوى دولة الشيلي، وكان نشاطهم يتمثل أساسا في تجنيد وتكوين دعاة جدد من النخب الثقافية والسياسية (C.A.D.C.M.A.E, 1956).

وبعد انعقاد المؤتمر العالمي الثامن للطلبة بين 15 إلى 25 فيفري 1959 بليما عاصمة البيرو لعبت وفود طلاب المغرب العربي دورا هاما فيه تحت شعار الكنفيدرالية، والتي تضم كلا من الاتحاد العام للطلبة الجزائريين والاتحاد العام لطلبة تونس والاتحاد القومي للطلبة المغاربة، إذ أكد المؤتمر قناعته العميقة بأن الحل الوحيد لمشاكل الطلبة الجزائريين يتوقف على إنهاء الحرب واستقلال الجزائر، وذلك بعد التفاوض السلمي

للحكومتين الجزائرية والفرنسية، ويعترف بشكل صريح بشرعية الكفاح الذي يقوم به الطلبة الجزائريون، وأخيرا كلف المؤتمر الطلابي الكتابة الدائمة له برفع هذه اللائحة من المطالب إلى لجنة حقوق الإنسان وإلى مجلس الأمن التابعين لهيئة الأمم المتحدة، كما تعهد المؤتمر بنشر هذه اللائحة في الصحافة العالمية (المجاهد، 1959 الجزء2 ص ص66،74).

ومهما يكن من أمر فإن عدد الطلبة الجزائريين في الخارج حسب تصريح السيد أحمد توفيق المدني – الذي كان يشغل منصب وزير الشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة– قد بلغ أكثر من 1200 طالب موزعين على البلدان العربية والغربية التالية: تونس 650 طالب، 100 طالب بالمغرب الأقصى، سوريا 65 طالب، بغداد 65، مصر 100 طالب، 30 بالكويت، و170 طالبا بالجامعات الأوروبية غير الفرنسية في سويسرا، يوغسلافيا، الاتحاد السوفياتي، ألمانيا الشرقية، إسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبالإضافة إلى هذا العدد تلقى بعض الجزائريين تكوينات في العلوم العسكرية والبحرية والطيران (المجاهد، 1958، الجزء الأول، ص469)، وفي هذا الشأن تشير بعض التقارير المحفوظة في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي مثلا إلى الاتفاق العسكري المنعقد في 2 أفريل 1959 في بكين بين وزير الدفاع الصيني بانغ تاه هواي Peng Teh Huai والسيد عمر أوصديق رئيس الوفد العسكري لجبهة التحرير الوطني، والذي يقر بقبول الصين بالإضافة إلى تقديم أسلحة للوحدات الجزائرية المقاتلة في معسكرات تدريب الجزائريين في اليمن، بإرسال معدات لإنشاء سرب طائرات لجبهة التحرير الوطني، كما تعهد الصين أيضا بتكوين فريق يتألف من 50 جزائري سنويا في المدارس العسكرية البرية والجوية والبحرية الخاصة بالجيش الصيني. ويدخل هذا اللجوء إلى الصين كمحاولة من جبهة التحرير الوطني لكسر الاحتكار المصري في تزويد الجبهة بالأسلحة (C.A.D.C.M.A.E, Aide Chinoise au F.L.N, 1959).

5. الاتحاد السوفياتي وبعثات الطلبة الجزائريين

أفرز اللقاء الذي أجراه السيد أحمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع الملحق الثقافي لسفارة الاتحاد السوفياتي في القاهرة إلى قبول 05 خمسة طلبة في مدارس موسكو على نفقة الاتحاد السوفياتي (C.A.D.C.M.A.E, l'U.R.S.S Accorde des bourses a des etudiants algeriens, 1959).

وتكشف لنا إحدى الوثائق المحفوظة في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي أنه حسب بعض الأصداء في أوساط جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، تمكن عدة مئات من الجزائريين من الانتقال حديثا إلى الاتحاد السوفياتي لإجراء تداريب في القوات الجوية السوفياتية، ولم تحدد ذات الوثيقة إن كان هذا التكوين يخص الطلبة الطيارين أو التقنيين أو الميكانيكيين. (C.A.D.C.M.A.E, Pilotes Algeriens en U.R.S.S, 1959)

خاتمة

وبناء على ذلك يمكننا القول أن الطلبة الجزائريين لعبوا دورا هاما لأجل تدويل القضية الوطنية وتعريف الأمم الأخرى بعدالة المطالب التي ينادي بها الجزائريون، والتي كانت في الواقع مطالب مشروعة لا تتنافى والمطالب الإنسانية أو الأعراف الدولية.

وأخيرا تتضح مساهمة الطلبة الجزائريين في الثورة التحريرية من خلال كسب أنصار للقضية الوطنية في الأوساط الثقافية والنقابية بالإضافة إلى الدعم المادي للثورة، ثم الإعداد للكوادر الفنية للثورة وما بعدها.

تمكن الطلبة الجزائريون بالخارج من التصدي بحكمة وشجاعة لرعونة النظام الاستعماري الفرنسي واستطاعوا أن يواجهوا المستعمر الفرنسي بشكل إيجابي وفعال، وهذا بصرف النظر عن تركهم لمقاعد الدراسة وانضمامهم للعمل الثوري.

كان الطلبة الجزائريون في الخارج بمثابة قناة ثابتة للإعلام في الأوساط الجامعية عن مجريات الثورة التحريرية، كما مثلت المنظمات الطلابية الجزائرية بالخارج الحضور الدائم للشباب الجزائري في كل التظاهرات الدولية للشبيبة.

إن هذا الموقف الوطني الشجاع في إسماع صوتهم وصوت ثورتهم التحريرية المشروعة في الخارج لقي اهتمام وتأييد الطلبة من كل ربوع العالم من مسلمين ومسيحيين، ومن مختلف الجامعات العالمية بل وحظي أيضا بتأييد من الطلبة الفرنسيين الذين انشقوا عن أبناء جلدتهم الاستعماريين، وعلى هذا الأساس كان يرجى من الطلبة الجزائريين أن يكونوا في طليعة الكوادر البناة الذين يرفعون من شأن الجزائر بعد الاستقلال.

المصادر والمراجع:

أبو القاسم سعدالله. (،2000، ج1، ص494). **الحركة الوطنية الجزائرية1860-1900** . دار الغرب الإسلامي.

أحمد طالب الإبراهيمي. (2006). **مذكرات جزائري أحلام ومحن (1932-1965)** (المجلد الجزء الأول). الجزائر: دار القصبة للنشر.

أحمد مريوش. (2005-2006). **الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954**. (كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، أطروحة دكتوراه. غير منشورة، المحرر) الجزائر، الجزائر.

المجاهد. (1959 الجزء2). **الجزائر في المؤتمر العالمي للطلبة**. المجاهد. اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري .

المجاهد. (08 ديسمبر, 1958. الجزء 1). **السيد أحمد توفيق المدني وزير الشؤون يحدثنا عن وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج**. المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري.

يحيى، بوعزيز .(2009) .**آثار يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** .(éd.طبعة منقحة ومزيدة .طبعة منقحة ومزيدة .(دار البصائر.

أحسن، بومالي .(2007) .**أول نوفمبر 1954بداية النهاية لـ "خرافة "الجزائر الفرنسية** .دار المعرفة.

دحو، جربال .(2013) .**المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، تاريخ الكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني في فرنسا-1956)** *1962)*س .بوزيدة (.Trad باتنة :منشورات الشهاب.

رابح تركي. (2001). **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر**. المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر و الإشهار.

أبو القاسم، سعدالله .(1990) .**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** .الجزء الثاني .(بيروت لبنان :دار الغرب الإسلامي.

عمار بوحوش. (09-10 نوفمبر, 2005). **شاهد عيان على مشاركة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGMA) في ثورة تحرير الجزائر**. (دراسة قدمت للندوة الثانية حول الاتحاد الطلبة المسلمين بالجزائر العاصمة تحت إشراف رئيس الجمهورية، غير منشورة.

غي برفليي. (2007). **النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880-1962)**. (م حاج مسعود، أ بكلي، ع بلعربي، المترجمون) الجزائر: دار القصبة.

عباس فرحات .الشاب الجزائري.

مالك بن نبي. (2006). **مذكرات شاهد القرن** (الإصدار ط 2، المجلد مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ، دار الفكر، الإعادة الرابعة، ط 2، 2006.). دار الفكر.

عبد المالك، مرتاض .(1983) .**المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية** *.(1962 -1954)*الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

مصطفى لشرف. (2007). **أعلام ومعالم – مآثر عن جزائر منسية، ذكريات الطفولة والشباب**. (ترجمة أحمد بن محمد بكلي، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.

ناهد ابراهيم دسوقي. (2001). **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين**. الاسكندرية، مصر: مطبعة سامي.

عمار، هلال .(2004) .,**نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير .1954**الجزائر : دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع.

Ageron, C.-R. (1983, 1er et 2e trimestres). **L'Association des étudiants musulmans nord-africains en France durant l'entre-deux-guerres**. Contribution à l'étude des nationalismes maghrébins. *Revue française d'histoire d'outre-me , tome 70* (n°258-259), p. 26.

C.A.D.C.M.A.E. (1957). **Activité de la délégation du F.L.N a Damas**. Archive, Afrique, Levant, **Centre d'Archives diplomatique de la Courneuve, Ministère des Affaires etrangères**, Paris.

C.A.D.C.M.A.E. (1959). **Aide Chinoise au F.L.N**. Archive, **Centre d'Archive Diplomatique la Courneuve, Ministere des Affaires etrangeres**, Paris.

C.A.D.C.M.A.E. (1956). **Creation d'un front de liberation de "l'Algerie" en Amerique du sud**. **Archives, Afrique -Levant 61, Centre d'Archives Diplomatiques Courneuve Ministere des Affaires Etrangers**, Paris.

C.A.D.C.M.A.E. (1956). **Incident au XI congres de l'Union Internationale des Etudiants** *(Prague-28/8 au 4/9, 1956)*. Archive , Afrique/Levant, **Centre des Archives Diplomatique de la Courneuve, Ministere des Affaires Etrangeres**, Paris.

C.A.D.C.M.A.E. (1959). **l'U.R.S.S Accorde des bourses a des etudiants algeriens**. Archive, Afrique Levant 61, **Centre d'archives Diplomatique de la Courneuve Ministere des Affaires Etrangeres**, Paris.

C.A.D.C.M.A.E. (1959). Pilotes Algeriens en U.R.S.S. Archive, **Centres d'archives diplomatique de la Courneuve, Ministere des Affaires Etrangeres**, Paris.

C.A.D.F.M.A.E.

Clement Moore, H. (2010). **Combat et solidarité estudiantins L'UGEMA** (1955-1962). Alger: Casbah-Editions.